((تعقيبات العلامة (فخر الدين الرازي) على أقوال (الكعبي) المعتزلي)) من خلال تفسيره "مفاتيح الغيب" والحكم عليها (دِرَاسَةً تَحْلِيلِيَّة)

الباحث/ حماده شعبان عبد الهادي عبد الكريم
الدرجة الماجستير قسم اللُّغة العربيَّة تَخَصُّص الدِّراسات الإسلاميَّة

المقدمة

إن الحمد لله نحمده، ونستعين به ، ونستهديه ، ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، إنه من يهده الله فهو المهتد، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً ، سبحانه إله عظيم، ورب كريم، خالق بديع ، ﴿ يِن ﴾ [1].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، هو الأول والآخر والظاهر والباطن ، وهو بكل شيء عليم.

وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله ، أرسله ربه رحمة للعالمين،﴿ ﴾ [2] ، وكرمه ربه أحسن تكريم ، واختاره واصطفاه عن سائر الخلق، وكلفه برسالته فأداها وبلغها، وأنزل عليه أفضل كتبه ، فحفظه وصانه ، ورتله وبلغه ، وفسره وبينه، فكان خير رسول لخير أمة

وبعد:

فمما لاشك فيه أن من أشرف العلوم على الإطلاق، وأرفعها قدرا بالاتفاق، هو علم التفسير؛ لأن شرف العلم بشرف موضوعه وغايته، وشدة الحاجه إليه.

فمنذ نزول الوحي اهتم النبي بالتفسير، فكان يفسر للصحابة، ما اشتبه عليهم من معاني القرآن.

واهتم الصحابة أيضاً بعد وفاة النبي بالتفسير، وقد عَدَّ السيوطى رحمه الله فى "الإتقان" مَن اشتهر بالتفسير من الصحابة وسمَّاهم، وهم: الخلفاء الأربعة، وابن مسعود، وابن عباس، وأُبَيّ بن كعب، وزيد بن ثابت، وأبو موسى الأشعرى، وعبد الله بن الزبير، رضى الله عنهم أجمعين (3).

وجاء التابعون فأخذوا التفسير عن الصحابة، ونهلوا من علمهم، فنبغ منهم رهط كثير، عُرفوا بالتفسير، مثل: مجاهد، وعكرمة، وسعيد بن جبير، وغيرهم، ثم جاء تابعي التابعين فاقتفوا آثار التابعين، وأخذوا يدونون علم التفسير في الكتب مما أثر عن النبي وما أثر عن الصحابة والتابعين. فظهر تفسير سفيان بن عيينة، وشعبة بن الجراح، وإسحاق بن راهوية، والبخاري، وابن أبي حاتم، وكان ذلك في القرن الثاني

---

(1) سورة السجدة (7/32).

(2) سورة الانبياء (107/21).

(3) التفسير والمفسرون :للإمام الذهبي (جـ1/صـ49). التفسير والمفسرون: المؤلف: الدكتور محمد السيد حسين الذهبي (المتوفى: 1398هـ)- الناشر: مكتبة وهبة، القاهرة- الطبعة الأولى:1381ه.

والثالث الهجري، ثم جاء العلماء وتنافسوا في تخصيص كتاب كامل لتفسير القرآن، مع توجيه أقوال الصحابة، والتابعين، فظهر تفسير الطبري، والسمرقندي، والأصم، وابن عطية، والزمخشري، وغيرهم، قبلهم وبينهم وبعدهم كثير.

وفي أواخر القرن الأول الهجري بدأ ظهور الفرق الإسلامية، فظهرت الخوارج والشيعة والقدرية والجهمية والمعتزلة، ثم كثرت الفرق وقد كان أغلب هذه الفرق يستند لمذهبه بآيات القرآن الكريم وتأولها كلّ على حسب مذهبه ، وقد كانت اكبر هذه الفرق التي أمست لها قد راسخة في الفكر الإسلامي تنحصر في ثلاث فرق هي، أهل السنة والجماعة، والمعتزلة، والشيعة.

وقد كان لكل فرقه من هذه الفرق علماء يدافعون عن مذهبهم ويتأولون آيات القرآن لنصرته، فظهر لكل فرقة مفسرون للقرآن اهتموا به، أما أهل السنة، ظهر منهم: ابن جرير الطبري، وابن عطية، والفخر الرازي، والقرطبي، وغيرهم.

وأما الشيعة فمنهم : الطوسي(1) ، والطبرسي(2) ، وابن طاووس، وأما المعتزلة فمنهم : أبو بكر الأصم(3) ، وأبو القاسم الكعبي البلخي، وأبو علي الجبائي(4)، وأبو مسلم الأصفهاني(5)، والقاضي عبد الجبار، والزمخشري، وغيرهم. ولم يصل إلينا تفسير كامل من تفاسير المعتزلة إلا الزمخشري، وقد أخذ الرازي من كل هذه التفاسير، فظهر بتفسير" مفاتيح الغيب" الذي كان يدافع فيه عن مذهب أهل السنة، وخاصة لما رأى أن مفسري المعتزلة والشيعة يأولون الآيات على غير معناها الصحيح انتصاراً لمذاهبهم الكلامية، فأخذ الفخر يسرد أقولهم وأدلتهم، ويفندها، ويرد

---

(1) أبو جعفر الطوسي :محمد بن الحسن بن علي الطوسي: مفسر، و من تصانيفه الإيجاز في الفرائض، و الجمل والعقود في العبادات، و الغيبة و التبيان الجامع لعلوم القرآن تفسير كبير، منه أجزاء مخطوطة، و الاستبصار فيما اختلف فيه من الأخبار ، وغيرها توفي (460 هـ) . ينظر: الأعلام للزركلي (جـ6/صـ84).

(2) الطبرسي: الفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسي، أمين الدين، أبو علي: مفسر محقق لغوي. من أجلاء الإمامية . نسبته إلى طبرستان. له مصنفات منها: مجمع البيان في تفسير القرآن والفرقان مجلدان، وغيرها توفي في سبزوار، ونقل إلى المشهد الرضوي توفي (548 هـ). ينظر: روضات الجنان (صـ512)، والأعلام للزركلي (جـ5/صـ148).

(3)أبو بكر الأصم: عبد الرحمن بن كيسان أبو بكر الأصم المعتزلي صاحب المقالات في الأصول ذكره عبد الجبار الهمداني في طبقاتهم وقال كان من أفصح الناس وأورعهم وأفقههم وله تفسير عجيب ومن تلامذته إبراهيم بن إسماعيل بن علية قلت وهو من طبقة أبي الهذيل العلاف وأقدم منه، توفي نحو (225)ه. ينظر: لسان الميزان(جـ3/صـ427)، طبقات المفسرين: للداوودي (جـ1/صـ274).

(4)أبو علي الجبائي: هو أبو علي محمد بن عبد الوهاب بن سلام بن خالد بن حمران بن أبان، وكانت ولادة الجبائي في سنة خمس وثلاثين ومائتين ، وكان إماما في علم الكلام، وتوفي في شعبان سنة ثلاث وثلاثمائة. رحمه الله تعالى. ينظر: وفيات الأعيان (جـ4/صـ267).

(5)أبو مسلم الأصفهاني :محمد بن بحر الأصفهاني، أبو مسلم: وال، من أهل أصفهان. معتزلي. من كبار الكتاب، من كتبه :جامع التأويل في التفسير، أربعة عشر مجلدا، والناسخ والمنسوخ، وكتاب في النحو، و مجموع رسائله. توفي (322 هـ) .ينظر: إرشاد الأريب (6/ 420)والفهرست لابن النديم(صـ136)، والأعلام للزركلي (جـ1/صـ50).

عليها، فيقبل الصحيح منها، ويرد على الفاسد من أقوالهم، وكان يناقش أقوالهم بموضوعية ، ولا يهضم لهم حق.
وقد تتبع الفخر أقوال مخالفي أهل السنة فيما استدلوا به عند تفسيرهم لآيات القرآن، فلم يترك آية استندوا إليها إلا رد علي من تأولها على غير معناها الصحيح.
وكان له وقفات مع رأس من رؤوس المعتزلة، وهو أو القاسم الكعبي البلخي، فذكر من أقواله في تفسيره" مفاتيح الغيب" ما يزيد عن ثمانين مسألة، وله في كل مسألة تعقيب، بقبول، أو رد، أو استشهاد بقوله، أو سكوت يوحي بأنه قد رد عليها من قبل.
وهذا هو موضوع البحث الذي نحن بصدده **:(تعقيبات الفخر الرازي على أبو القاسم الكعبي في تفسير" مفاتيح الغيب" والحكم عليها).**
من هنا تظهر أهمية البحث الذي أرى أنه يضيف جديداً للمكتبة الإسلامية، لأنني أقف فيه مع عالمين من أكابر علماء التفسير، يمثل كل منهما فرقة من الفرق الإسلامية الكبرى، أما الأول فهو، العلامة: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي التيمي البكري الطبرستاني فخر الدين الرازي، الذي يمثل أهل السنة والجماعة عامة والأشاعرة خاصه.
أما الثاني فهو: أبو القاسم الكعبي البلخي أحد رؤوس المعتزلة، وزعيم فرقة الكعبية.
فسوف أقف في هذ البحث مع تعقيبات الفخر الرازي في تفسيره "مفاتيح الغيب" على أقوال الكعبي التي نقلها عنه الفخر ، ثم أقف بحياد تام وموضوعيه لأرى هل حالف الصواب أم لا؟ وبعد ذلك أقف مع كبار المفسرين لأرى هل وافقوا هذا أم ذاك، ثم أرجح بناءً على قوة الأدلة ليستبين الصواب فيها.

أهمية الموضوع

إن هذه الدراسة ستسهم في العمل على بيان العقيدة الصحيحة، والعمل على رد الشبه المثارة حول بعض آيات القرآن، كما تعمل على نشر التفسير الصحيح، والتي أجمع عليه المفسرون من خلال بيان آرائهم الموجودة في تفاسيرهم المختلفة.

أهداف الموضوع

1-جمع تعقيبات الفخر الرازي في تفسيره "مفاتيح الغيب" على أقوال الكعبي.
2-تصحيح بعض الآراء التي لا تتوافق مع القرآن والسنة، والتي تتعارض مع الفطرة السليمة.
3-معرفة منهج الفخر الرازي في التعقيب، والاستدلال.
4-كيف ناقش الرازي آراء المعتزلة، وكيف رد عليهم في بعض الآيات التي تتعلق بالعقيدة.
5-الوصول إلى أقرب الأقوال في المسألة بعد بحثها من كل جوانبها.

أسباب اختيار الموضوع

1-فضل الله وعنايته ولنيل شرف الخوض في تفسير كتاب الله والعيش في ظلاله لأنه يمثل أشرف العلوم ، وأعظم ما يتقرب به العبد إلى الله بحثا وتحقيقا ودراسة، فخدمة كتاب الله هو خير ما اشتغل به الباحثون.

2-بيان جهود علماء التفسير في الرد على المعتزلة، منهم: الكعبي حين قال في قوله تعالى: ﴿ لخ لم لى لي مج مح مخ مم نج نح نخ نم نه ﴾ [1] ذكر الكعبي أن هذه الآيه تدل على أن القرآن مخلوق.

3-تعقيبات الفخر الرازي على الكعبي في كثير من أمور العقيدة كقوله: ﴿ حم خم سم ﴾ [2]، قال الكعبي: إن الله لا يأذن بالشفاعة لغير المطيعين.

4-لكثرة اطلاعي على تفسير الفخر الرازي، وجدته يلقي عناية كبيرة بأقوال الكعبي، في أسباب النزول كقوله: ﴿ نى ني ير ﴾ [3]، ونظرا لذلك رأيت أن أبحث في هذا الموضوع.

5-أن كلا منهما من مدرسة تخالف الأخرى، من حيث المذهب الاعتقادي، فالفخر من أهل السنة، والكعبي من المعتزلة، فرأيت أن الكعبي ينتصر لمذهبه دائما كما في قوله: ﴿ لخ لم لى لي نم نى يم ﴾ [4]، احتج الكعبي على أن الفاسق ليس بمؤمن؛ لأنه لوكان مؤمنا لدخل تحت هذه البشارة، ولو كان كذلك لقطع أنه من أهل الجنة، ولما لم يكن كذلك ثبت أنه ليس بمؤمن.

6-تعقيبات الرازي على الكعبي في كثير من أمور العقيدة، كقوله: ﴿ ﴾ [5]،احتج الكعبي به على أن الله يقبل حجة العباد، وليس كما يزعم أهل السنة من أنه لا يقبل الحجة.

7-أن الكعبي لم يوف حقه من خلال البحوث والرسائل العلمية حول تفسيره، فأردت أن أضيف عملا جديدا، عله أن يستفيد منه الباحثون والمتخصصون .

خطة البحث

يتكون هذا البحث من مقدمة وفصلين، وملحقات.

المقدمة: وفيها: أهمية الموضوع، وأهداف الدراسة، وأسباب اختيار الموضوع، والدراسات السابقة، ومنهج الباحث، وخطة البحث.

الفصل الأول: التعريف بعنوان الرسالة، وفيه مباحث:

المبحث الأول: المعتزلة و الأشاعرة مدرستا الكعبي و الفخر الرازي.

---

[1] سورة الإسراء (86/17).
[2] سورة البقرة (255/2).
[3] سورة آل عمران (169/3).
[4] سورة آل عمران (169/3).
[5] سورة القصص (47/28).

المبحث الثاني: الترجمة للمفسرين. وفيه مطالب:
المبحث الثالث: منهج أبي القاسم الكعبي في الأقوال المنقولة عنه.
المبحث الرابع: منهج الفخر الرازي في التعقيب على الكعبي. ومنهج الباحث في الحكم على التعقيب
المبحث الخامس: المفسرون الذين نقلوا عن الكعبي غير الفخر الرازي.
الفصل الثاني: تعقيبات الفخر الرازي على الكعبي من أول سورة الفاتحة إلى آخر سورة التوبة وفيه (32) مسألة.
الفصل الثالث: تعقيبات الفخر الرازي على الكعبي من أول سورة يونس إلى آخر سورة الناس وفيه (24) مسألة.
الملحقات: وفيها: 1-الخاتمة وفيها : نتائج البحث ومقترحات الباحث. 2-الفهارس وتحتوي على 1-فهرس الآيات 2-فهرس الأحاديث3-فهرس الأعلام 4-فهرس المصادر والمراجع 5-فهرس الموضوعات

منهج البحث

- اتبعت في هذه الدراسة المنهج التحليلي، و قسمت البحث إلى ثلاثة فصول ، الفصل الأول التعريف بعنوان الرسالة، وذلك لكثرة المسائل التي تخدم موضوع البحث ، ذكرت فيه خمسة مباحث ، المبحث الأول التعريف بالمعتزلة والأشاعرة، والمبحث الثاني التعريف بالكعبي والفخر الرازي، والمبحث الثالث منهج أبو القاسم الكعبي في الأقوال المنقولة عنه. والمبحث الرابع: منهج الفخر الرازي في التعقيب على الكعبي. ومنهج الباحث في الحكم على التعقيب. والمبحث الخامس: المفسرون الذين نقلوا عن الكعبي غير الفخر الرازي.

-وجعلت الدراسة التطبيقية في فصلين.

-قسمت كل مسألة لعدة فقرات:

1-أذكر كل مسألة بترقيم مسلسل.

2-وضعت عنوانا لكل مسألة على حسب الموضوع لسهولة الاطلاع.

3-أذكر الآية التي تخص المسألة، مع ذكر اسم السورة ورقمها ثم رقم الآية في الهامش هكذا، سورة....(.../...).

4-أذكر قول الكعبي كما ذكره الفخر في تفسيره مع ذكر اسم الجزء والصفحة.

5-أذكر تعقيب الفخر على المسألة وأقدمه بعنوان تعقيب الفخر.

6-أذكر الدراسة وفيها مناقشة قول الكعبي مع ذكر أقوال المفسرين التي توضح المسألة.

7-أحياناً أذكر القراءات الواردة في الآية ، وأحيانا أذكر الأحاديث على وجه الاستدلال، وأحياناً أذكر أسباب النزول، وهذا على حسب ما يقتضي البحث في كل مسألة.

8-أخيراً أذكر الراجح في المسألة علما بأن هذا الرأي الراجح محتمل فهو على سبيل الظن وليس على سبيل القطع، لأنه لا يعلم مراد الله تعالى في آياته إلا هو سبحانه وتعالى.
-وقد نقلت من كلام الفخر ما يكون مستوفيا قول الكعبي والتعقيب عليه، ونقلت من كلام المفسرين ما يفي بالغرض ويخدم المسألة التي أناقشها.
-ونقلت من كلام المفسرين القدامى والمُحدثين، فمنهم من كان قبل الفخر ومنهم من كان بعده، ومنهم من كان من أهل السنة ، ومنهم من كان من المعتزلة، ومنهم من كان من الشيعة، حتى يتضح الأمر.
-وضعت كل ما نقلته من كلام الفخر أو من الكتب الأخرى بين علامة التنصيص هكذا "" وعزوتها إلى مصدرها ، وجعلت رقم الصفحة التي أذكرها في الهامش هي الصفحة التي فيها أول الكلام المنقول.
- وقمت بعزو الآيات القرآنية موْضِع الدراسة للسور القرآنية وجعلته في الهامش.
-قمت بتخريج الأحاديث التي جاءت في البحث ، وجعلت تخريجها في الهوامش، وإذا كان الحديث في الصحيحين اكتفيت بذكر ذلك، دون الرجوع لغيرهما، وإذا كان في غيرهما اكتفيت بذكر أصح الروايات ، وإذا كان الحديث ورد في كلام من نقلت عنهم خرّجت الحديث في الهوامش.
- استعنت في الحكم على الأحاديث علي أقوال علماء الحديث المعاصرين، وذلك لاستيعابهم كلام من سبقوهم في هذا الشأن، ولأن دور النشر تعتمد على أقوالهم.
-ترجمت لبعض الأعلام غير المشهورين الذين ورد ذكرهم في البحث، واحيانا ترجمت للمشهورين الذين يكثر الفخر النقل عنهم في التفسير.
- التزمت الموضوعية والحياد بين المفسرين، لأنني أردت أن يكون البحث مكتملا من كل جوانبه، وذلك بقدر طاقتي.
- خاتمة البحث ، وذكرت فيها نتائج البحث، ثم أتبعت ذلك بذكر بعض المقترحات.
-ألحقت بالبحث بياناً بالمصادر والمراجع: ورتبت أسماء الكتب (هجائيا). وعرفتها هكذا: اسم الكتاب المختصر كما جاء في البحث/ الاسم الاصلي للكتاب/ اسم المؤلف وسنة وفاته (ه) /دار النشر/ رقم الطبعة (ط) /سنة النشر (ه).
وفي بعض الأحيان أذكر للمرجع أكثر من طبعة لأني رجعت إليها وذكرته في الهامش.
-ألحقت بالبحث مجموعة من الفهارس هي: فهرس الآيات القرآنية – فهرس الأحاديث -فهرس تراجم الأعلام- فهرس الموضوعات.

المسألة: (الأولى)

حقيقة الإيمان في الشرع

قوله (تعالى): ﭐﱡ □ نم نى □ □ □ □ □ □ ﱠ[1].

قال الكعبي

"إن الإيمان معرفة الله مع معرفة كل ما علم بالضرورة كونه من دين محمد صلى الله عليه وسلم" [2].

تعقيب الفخر

عقب الرازي بقوله: "والذي نذهب إليه أن الإيمان عبارة عن التصديق بالقلب ، ونفتقر هاهنا إلى شرح ماهية التصديق بالقلب فنقول..." [3].

الدراسة : ذهب الفخر الرازي إلى أن الإيمان في الشرع هو: التصديق، بينما ذهب الكعبي إلى أن الإيمان هو المعرفة.

وسوف نذكر أقوال أهل القبلة في تعريف الإيمان في الشرع، فنقول: وقع الخلاف بين الفرق الإسلامية في حقيقة الإيمان في الشرع، على أقوال:

القول الأول: إن الإيمان هو: التصديق بجميع ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم مما علم من الدين بالضرورة، وهو قول الفخر [4].

واستدلوا بادلة:

1- إجماع أهل اللغة قاطبة على أن الإيمان في اللغة قبل نزول القرآن ، وبعثة النبي صلى الله عليه وسلم هو التصديق، لا يعرفون في لغتهم إيمانا غير ذلك ويدل على ذلك قوله تعالى: ﱡﭐ □ □ □ □ □ □ بر □ ﱠ [5]، أي ما أنت بمصدق لنا، ومنه قولهم: فلان يؤمن بالشفاعة، وفلان لا يؤمن بعذاب القبر، أي لا يصدق بذلك. فوجب

---

(1) سورة البقرة (3/2).

(2) .مفاتيح الغيب (جـ2/صـ271).

(3) مفاتيح الغيب (جـ2/صـ271).

(4) الملل والنحل (جـ1/صـ102)، وشرح جوهرة التوحيد: للبيجوري (صـ54). المؤلف: إبراهيم البيجوري –المحقق: الشيخ حسين عبد الرحيم مكي – الناشر: مطبعة محمد علي صبيح وأولاده بمصر –الطبعة الأولى سنة 1374هـ-1954م.

(5) سورة يوسف (17/12).

أن يكون الإيمان في الشريعة هو الإيمان المعروف في اللغة، لأن الله عز وجل ما غير اللسان العربي ولا قلبه [1].

2- انه كان في أصل اللغة للتصديق، فلو صار في عرف الشرع لغير التصديق لزم أن يكون المتكلم به متكلما بغير كلام العرب، وذلك ينافي وصف القرآن بكونه عربيا.

3- إن الإيمان أكثر الألفاظ دورانا على ألسنة المسلمين فلو صار منقولا إلى غير مسماه الأصلي لتوفرت الدواعي على معرفة ذلك المسمى، ولاشتهر وبلغ إلى حد التواتر، فلما لم يكن كذلك علمنا أنه بقي على أصل الوضع.

4- اجمعنا على أن الإيمان المعدى بحرف الباء مبقى على أصل اللغة فوجب أن يكون غير المعدى كذلك.

5- إن الله تعالى كلما ذكر الإيمان في القرآن أضافه إلى القلب قال: ﴿ □ □ □ ﴾ [2].

6- إنه (تعالى) كثيرا ذكر الإيمان، وقرنه بالمعاصي، قال: ﴿ لخ لم لى لي □ □ □ □ □ □ ﴾ [3].

يقول القاضي الباقلاني: "واعلم أن حقيقة الإيمان هو التصديق، واعلم أن محل التصديق هو القلب" [4].

وقال أبو المعالي الجويني بعد رده مذاهب الناس في الإيمان، ومنها مذهب السلف: "والمَرضيُّ عندنا: أن حقيقتهُ التصديق بالله تعالى، فالمؤمن بالله مَن صدّقه، ثم التصديق على التحقيق كلام النفس" [5].

القول الثاني: إن الإيمان إقرار باللسان، ومعرفة بالقلب، وهو قول أبي حنيفة، [6]. وعلى هذا يكون موافقا لأهل السنة ولكن الخلاف لفظي لأن أهل السنة جعلوا النطق باللسان شرط لإجراء الأحكام الدنيوية.

القول الثالث: إن الإيمان هو الإقرار باللسان فقط، وهو قول الكرامية، وزعموا أن المنافق مؤمن الظاهر كافر السريرة فثبت له حكم المؤمنين في الدنيا وحكم الكافرين في الآخرة [7].

---

[1] التمهيد: للباقلاني (صـ346،347). المؤلف: القاضي أبو بكر محمد بن الطيب بن الباقلاني (ت403ه)- تحقيق: محمود محمد الخضيري، و الدكتور محمد عبد الهادي أبوريدة – الناشر: دار الفكر العربي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر- الطبعة: 1366ه-1947م.

[2] سورة المجادلة (22/58).

[3] سورة الأنعام (82/6).

[4] الانصاف: للباقلاني (صـ55).

[5] الارشاد إلى قواطع الأدلة في الاعتقاد (صـ397).

[6]- ينظر: الفرق بين الفرق (جـ213/1)، وصية الإمام أبو حنيفة (صـ52).

[7] - ينظر: مقالات الإسلاميين للأشعري: (صـ138)، ميزان الإعتدال للذهبي (جـ4/صـ21).

ورد الفخر على هذا القول: ان الإيمان ليس عبارة عن التصديق اللساني، والدليل عليه قوله :[1].

وقال الطبري[2]:" وقد احتج بعض الناس أن الإيمان هو مجرد القول، لأنه قال: {فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِما قالُوا} ولكن لا حجة لهم فيها، لأن قولهم كان مع التصديق، والقول بغير التصديق، لا يكون إيماناً" [3].

القول الرابع: ان الإيمان هو تصديق بالجنان، وإقرار باللسان، وعمل بالأركان، وهو قول السلف [4].

والملاحظ من هذا القول: أنهم جعلوا العمل داخل في مسمى الإيمان وهو مخالف لقوله: [5].

والملاحظ من آيات القرآن أن الله تعالى أينما ذكر الإيمان، قرن العمل الصالح به، ولو كان العمل الصالح داخلا في الإيمان، لكان ذلك تكرارا.

قال الآمدي : " وبهذا أيضًا يتبين فساد قول الحشوية: إن الإيمان هو التصديق بالجَنان، والإقرار باللسان، والعمل بالأركان" [6].

القول الخامس: أن الإيمان عبارة عن معرفة الله بالقلب، حتى أن من عرف الله بقلبه ثم جحد بلسانه ومات قبل أن يقربه فهو مؤمن كامل الإيمان، وأما معرفة الكتب والرسل واليوم الآخر فقد زعم أنها غير داخلة في حد الإيمان، وهو قول جهم بن صفوان [7].

---

[1] سورة البقرة (8/2).

[2] الطّبري: هو محمد بن جرير بن يزيد بن كثير الطبري، أبو جعفر، الإمام المؤرّخ المفسّر الكبير ، ولد في طبرستان سنة أربع وعشرين ومائتين، وطلب العلم بعد الأربعين ومائتين. وكثرة تصانيف، وقد قامت شهرته على كتابيه التاريخ ، و التفسير. مات سنة عشر وثلاثمائة .ينظر :شذرات الذهب (جـ1/صـ29)، وفيات الأعيان (جـ4/صـ191).

[3] - ينظر: تفسير السمرقندي (جـ1/صـ412). بحر العلوم- المؤلف: أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (المتوفى: 373هـ)

[4] - ينظر: الإيمان لإبن تيمية (صـ118)، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728هـ)- المحقق: محمد ناصر الدين الألباني- الناشر: المكتب الإسلامي، عمان، الأردن- الطبعة: الخامسة، 1416هـ/1996م. وشرح السنة للمزني (صـ78). شرح السنة معتقد إسماعيل بن يحيى المزني- المؤلف: إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل، أبو إبراهيم المزني (المتوفى: 264هـ)- المحقق: جمال عزون- الناشر: مكتبة الغرباء الأثرية – السعودية- الطبعة: الأولى، 1415هـ - 1995م.

[5] سورة الصف (2/61).

[6] - غاية المرام في علم الكلام (صـ311). المؤلف: أبو الحسن سيد الدين علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي الآمدي (المتوفى: 631هـ)-المحقق: حسن محمود عبد اللطيف-الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – القاهرة.

[7] - ينظر: مقالات الإسلاميين للأشعري (صـ120). مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين- المؤلف: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن أبي

وهذه أقوال أهل القبلة في معنى الإيمان في الشرع.

وأما بالنسبة لقول الكعبي: **فلو كان الإيمان هو المعرفة** فان من الكفار من كان يعرف الحق ولا يصدق به عنادا واستكبارا كما في قول الله-تعالى-: ﴿ لخ لم لى لي ﴾ ﴿ نم نى ﴾ [1] ، وقوله تعالى: ﴿ تم تهثم جم ﴾ ﴿ خم سم ﴾ [2]، وقوله –تعالى-: حكاية عن موسى لفرعون: ﴿ سم ﴾ [3] فاحتيج إلى الفرق بين المعرفة والتصديق ليصبح كون المعرفة حاصلا للمعاندين دون التصديق وكون التصديق إيمانا دون المعرفة فاقتصر بعضهم على أن ضد التصديق هو الإنكار والتكذيب وضد المعرفة النكارة [4].

قال الماتريدي :" وظن قوم أن لا يكون بالقلب تصديق وإنما يكون به معرفة خاصة والأصل أنه يكون وإن كان لا يقدر على الإشارة إلى ذلك بحرف يفضل إلا من طريق الدلالة بالمعروف من القول إن الإيمان تصديق في اللغة والكفر تكذيب أو تغطية فضد المعرفة في الحقيقة النكرة والجهالة وإلا كان جاهلا بشيء أو منكرا له من حيث المعرفة مكذب على ما قال قوم منكرون أي لا يعرفون وكذلك كل من جهل حقا لا يوصف بالتكذيب له ثبت أن للإيمان بالقلب في التحقيق غير المعرفة على أن المعرفة هي سبب يبعث على التصديق كما قد يبعث الجهالة على التكذيب ربما فكذلك لكل معنى ليس للآخر في التحقيق.

وعلى ذلك جاز القول بالإيمان بجميع الرسل على غير القول بمعرفة جميع الرسل بالقلوب وعلى ذلك قوله {من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان} لو لم يكن في القلب إلا المعرفة لكان لا يزيلها الكفر ولا يفيد الشرط في ذلك وقد يختار المرء لدفع الإكراه غير الذي هو حق عنده لدفع ذلك عنه فله شرط طمأنينة القلب وكذلك القول لإبراهيم {أو لم تؤمن} قال {بلى} وإنما يقال {أو لم تؤمن} بخبري أو بالذي عرفت قال {بلى} ولم يكن أولم تعلم، على أن المعارف ربما تقع بأشياء بلا أسباب لا يوصف بالإيمان بها وكذلك قوله {فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله} فهو التكذيب بالطاغوت فيما يدعون والإيمان بالله لا على القول به ولكن على حقيقة الإنكار والتكذيب بالقلب والقبول والتصديق بالله والأصل في ذلك أثبت من الأمر المتعارف أن لا يوصف كل جاهل بالشيء بالتكذيب ولا كل عارف به

بردة بن أبي موسى الأشعري (المتوفى: 324هـ)- عنى بتصحيحه: هلموت ريتر- الناشر: دار فرانز شتايز، بمدينة فيسبادن (ألمانيا)- الطبعة: الثالثة، 1400 هـ - 1980 م.

[1] سورة البقرة (2 /46).

[2] سورة البقرة (2 /44).

[3] سورة الإسراء (17 /102).

[4] ينظر: شرح المقاصد (صـ185).

بالتصديق به لكن المعرفة تبعث على التصديق والجهالة عل التكذيب فسمى بذلك نحو السبب لا الحقيقة" [1].

الراجح : بعد ذكر التفصيل في هذه المسألة نقول: إن الراجح هو قول جمهور أهل السنة أن الإيمان هو التصديق بالقلب لكل ما جاء به النبي مما هو معلوم من الدين بالضرورة، وأن الإيمان المنجي من التخليد في النار هو التصديق القلبي الجازم لقوله صلى الله عليه وسلم كما رُوِيَ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ إِيمَانٍ" [2]. **ويقول القاضي الباقلاني**: "واعلم أن حقيقة الإيمان هو التصديق، واعلم أن محل التصديق هو القلب" [3]، وهناك أدلة تؤيد ذلك كقوله تعالى: ﴿ [4]، وقوله سبحانه: ﴿ [5] وقوله عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ: "اللَّهُمَّ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ" [6]. حيث نسب الإيمان إلى القلب في هذه الآيات و نظائرها الغير محصورة ، فدل ذلك على أنه فعل القلب وهو التصديق [7].

ثم ذكر الإيجي[8]، بعد ذلك دليلاً على خروج العمل عن الإيمان حيث قال: "والعمل خارج عنه، لمجيئه مقرونا بالإيمان معطوفا عليه في عدة مواضع من الكتاب، قوله تعالى: {الذين آمنوا وعملوا الصالحات}[9]، فإن الجزء لا يعطف على كله، فلا يقال:

---

(1) التوحيد للماتريدي (جـ1/صـ380). المؤلف: الماتريدي- الناشر :دار الشرق، لبنان- سنة1407ه -1986م.

(2) رواه الإمام الترمذي في سننه، كتاب: أبواب البر والصلة باب: ما جاء في الكبر،(جـ3/صـ429)، حديث رقم: (1999)، وقال حديث حسن صحيح غريب.

(3) الانصاف: للباقلاني (صـ55). الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به –المؤلف: القاضي أبو بكر محمد بن الطيب بن الباقلاني (ت403ه) –تحقيق: الشيخ محمد بن حسن الكوثري – الناشر: مؤسسة الخانجي بمصر – الطبعة الثانية سنة 1383ه-1963م.

(4) سورة المجادلة (22/58).

(5) سورة الحجرات (49 /14).

(6) رواه بن ماجة، كتاب: الدعاء، باب: دعاء النبي صلى الله عله وسلم،(جـ2/صـ1260)، حديث رقم:(3834)، صححه الألباني. سنن ابن ماجه-المؤلف: ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد (المتوفى: 273هـ) -الناشر: دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي-تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

(7)العقائد: لعضد الدين الإيجي (جـ2/صـ286).

(8) عضد الدين الإيجي: عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الغفار، أبو الفضل، عضد الدين الإيجي: عالم بالأصول والمعاني والعربية. من أهل إيج (بفارس) ولي القضاء ، وأنجب تلاميذ عظاما ، من تصانيفه المواقف في علم الكلام ، و العقائد العضدية ، والبيان ، و أشرف التواريخ ، المدخل في علم المعاني والبيان والبديع ، وجرت له محنة مع صاحب كرمان، فحبسه بالقلعة، فمات مسجونا توفي سنة (756 هـ) ينظر: شذرات الذهب (جـ8/صـ298)، الأعلام للزركلي (جـ3/صـ295).

(9) سورة الرعد (29/13).

جاءني القوم وأفرادهم ولا عندي العشرة وآحادها) [1].وقال إن الإيمان قد يطلق على العمل إطلاقا مجازيا [2].

ومن هنا فإن الإيمان الشرعي: هو الإيمان المعروف في اللغة وهو التصديق المخصوص، وأن التصديق محله القلب فقط، بدليل الآيات التي تنسبه إليه دون غيره، وذلك دليل على أن الإقرار والعمل لا دخل لهما في التصديق، وأن العمل خارج عن الإيمان ومغاير له، بدليل عطف العمل على الإيمان والعطف دليل على المغايرة، وأن القرآن الكريم ولغة العرب، والإجماع، تدل على بقاء الإيمان على أصله اللغوي. وأن الإقرار والعمل شرط في الإيمان، يلزم الإتيان بهما، ومن فرط فيهما فهو معرض للعقاب.

المسألة (الثانية)
حقيقة العلم الإلهي

قوله تعالى: ﴿ لخ لم لى لي ﴾ [3].

هذه الآية دالة على أن خبر الله عن عدم إيمان الكفار واقع لأنه علم أزلاً أنهم لا يؤمنون، وأيضاً داله على جواز تكليف مالا يطاق.

فقال الكعبي: "إن العلم تبع المعلوم، فإذا فرضت الواقع من العبد من الإيمان عرفت أن الحاصل في الأزل لله تعالى هو العلم بالإيمان، ومتى فرضت الواقع منه هو الكفر بدلا على الإيمان عرفت أن الحاصل في الأزل هو العلم بالكفر بدلا عن الإيمان، فهذا فرض علم بدلا عن علم آخر، لا أنه تغير العلم" [4].

تعقيب الفخر: قال: "وأما قول الكعبي ففي نهاية الضعف، لأنا وإن كنا لا ندري أن الله تعالى كان في الأزل عالما بوجود الإيمان أو بعدمه لكنا نعلم أن العلم بأحد هذين الأمرين كان حاصلا، وهو الآن أيضا حاضر، فلو حصل مع العلم بأحد النقيضين ذلك النقيض الآخر لزم اجتماع النقيضين، ولو قيل بأن ذلك العلم لا يبقى كان ذلك اعترافا بانقلاب العلم جهلا" [5].

الدراسة : هذه من المسائل الخلافية بين أهل السنة، والمعتزلة في طبيعة العلم الإلهي، حيث اختلفوا فقال الكعبي: إن العلم تبع المعلوم، وقال الفخر: لو أن العلم تبع المعلوم لكان ذلك اعترافا بانقلاب العلم جهلا، وهنا نذكر القولين:

---

[1] العقائد: لعضد الدين الإيجي (جـ2/صـ286).
[2] غاية المرام في علم الكلام: للآمدي (صـ311).
[3] سورة البقرة (6/2).
[4] مفاتيح الغيب (جـ2/صـ289).
[5] المصدر السابق نفسه.

القول الأول: قول الفخر وهو: أن علم الله قديم لا يتغير بتغير الأحداث، لأن الله هو الخالق لكل الأفعال، وللعباد فيها الكسب، و لو قلنا إن العلم يتغير بتغير المعلوم، لكنا إما أن نقول بأن الكافر سوف يؤمن، وهذا تصريح بأن علم الله سوف ينقلب جهلا، وهذا محال ، حيث قال بعض المحققين: علم الله تعلق بأنه لا يؤمن وخبره تعالى تعلق بأنه لا يؤمن، وقدرته لم تتعلق بخلق الإيمان فيه، بل بخلق الكفر فيه وإرادته لم تتعلق بخلق الإيمان فيه، بل بخلق الكفر فيه، وأثبت ذلك في اللوح المحفوظ، وأشهد عليه ملائكته، وأنزله على أنبيائه وأشهدهم عليه، فلو حصل الإيمان لبطلت هذه الأشياء، فينقلب علمه جهلا، وخبره الصدق كذبا، وقدرته عجزا، وإرادته كرها، وإشهاده باطلا، وإخبار الملائكة والأنبياء كذبا، وكل ذلك محال وهو قول أهل السنه [1] ، واستدلوا بأدله منها: قوله(تعالي) [2]. حيث احتج أهل السنة بهذه الآية على أن الكفر بقضاء الله تعالى وإرادته، وتقريره أنه تعالى أخبر عنهم خبرا جزما قطعا أنهم لا يؤمنون، فلو آمنوا لكان إما أن يبقى ذلك الخبر صدقا أو لا يبقى، والأول باطل، لأن الخبر بأنه لا يؤمن قطعا يمتنع أن يبقى صدقا حال ما يوجد الإيمان منه والثاني أيضا باطل، لأن انقلاب خبر الله تعالى كذبا محال فثبت أن صدور الإيمان منهم محال والمحال لا يكون مرادا، فثبت أنه تعالى ما أراد الإيمان من هذا الكافر ، وأنه أراد الكفر منه وبقوله تعالى: ﴿ بن بى بي تر ﴾ ثم أردفه بقوله﴿ ﴾ [3].

وهنا استدل الصانع سبحانه بتصوير الصور في الأرحام على كونه عالما بالأشياء، وقال ﴿ نم نى ﴾ [4]، وهو عين تلك الدلالة وقال: ﴿ ﴾ [5] ، وذلك تنبيه على كونه تعالى عالما بكل المعلومات، لأنه تعالى مخبر عن المغيبات فتقع تلك الأشياء على وفق ذلك الخبر، فلولا كونه عالما بالمغيبات وإلا لما وقع كذلك [6].

وقوله تعالى: ولا مبدل لكلمات الله يدل على قولنا في خلق الأفعال لأن كل ما أخبر الله عن وقوعه، فذلك الخبر ممتنع التغير، وإذا امتنع تطرق التغير إلى ذلك الخبر امتنع تطرق التغير إلى المخبر عنه. فإذا أخبر الله عن بعضهم بأنه يموت على الكفر كان ترك الكفر منه محالا. فكان تكليفه بالإيمان تكليفا بما لا يطاق.

ثم انه تعالى أخبر عن شخص معين أنه لايؤمن قط، فلو صدر منه الإيمان لزم انقلاب خبر الله الصدق كذبا وهو محال على الله لأن الكذب عندهم قبيح وفعل القبيح يستلزم

---

[1] مفاتيح الغيب (جـ17/248،صـ247).
[2] سورة يونس (33/10).
[3] سورة آل عمران(6/3).
[4] سورة الملك (14/67).
[5] سورة الأنعام (59/6).
[6] ينظر: مفاتيح الغيب (324/2).

إما الجهل وإما الحاجة وهما محالان على الله والمفضي إلى المحال محال فصدور الإيمان منه محال فالتكليف به تكليف بالمحال.

القول الثاني: قول الكعبي: أن العلم يتغير بتغير المعلوم وقد احتجوا على أن كل ما أخبر الله عنه بصيغة الماضي كلام محدث مثل قوله ﷻ لخ لم لى ّ و ﷻ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ّ[1] ﷻ □ □ □ □ □ □ ّ[2]، ﷻ □ □ بر ّ[3] ، قالوا لأن الخبر على هذا الوجه لا يكون صدقا إلا إذا كان مسبوقا بالخبر عنه، والقديم يستحيل أن يكون مسبوقا بالغير فهذا الخبر يستحيل أن يكون قديما فيجب أن يكون محدثا[4].

ورد الرازي قولهم: معلوم أنه تعالى كان عالما في الأزل بأنه سيخلق العالم ثم لما خلقه صار العلم متعلقا بأنه قد خلقه في الماضي ولما لم يقتضي هذا حدوث العالم وتغييره فكذلك الخبر[5].

وقالوا إن هذه الآية تدل على أن الله كتب عليهم الكفر، وهذا قبيح، والقبيح محال على الله، واستدلوا بقوله ﷻ □ □ □ □ ّ[6] وقوله: ﷻ □ □ تن تى تي ّ[7] فهذه الآيات تدل على أنه لا يريد الفساد ولا يحبه، سواء كان من جهته، أو من جهة غيره[8].

وقد ترتب على مبالغة المعتزلة في نفي القبيح عن الله، أن نفوا أن يكون خالقا لأفعال العباد[9].

الراجح: ما ذهب إليه أهل السنة بهذه الآية على أن الكفر بقضاء الله تعالى وإرادته، وتقريره أنه تعالى أخبر عنهم خبرا جزما قطعا أنهم لا يؤمنون، فلو آمنوا لكان إما أن يبقى ذلك الخبر صدقا أو لا يبقى، والأول باطل، لأن الخبر بأنه لا يؤمن قطعا يمتنع أن يبقى صدقا حال ما يوجد الإيمان منه والثاني أيضا باطل. لأن الله يعلم ما كان وما هو كائن وما سيكون لو كان كيف كان يكون، لقوله ﷻ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ّ[10].

المصادر والمراجع

---

(1) سورة الحجرات(9/49).
(2) سورة القدر(1/97).
(3) سورة نوح (1/71).
(4) مفاتيح الغيب (جـ2/صـ283).
(5) الأربعين في أصول الدين للرازي (صـ184).
(6) سورة البقرة(205/2).
(7) سورة الزمر (7/39).
(8) شرح الأصول الخمسة للقاضى عبد الجبار (صـ460).
(9) المغنى فى أبواب التوحيد والعدل (جـ8/صـ3).
(10) سورة آل عمران (6/3).

-**الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية**: المؤلف: عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله البغدادي التميمي الأسفراييني، أبو منصور (المتوفى: 429هـ)-الناشر: دار الآفاق الجديدة - بيروت-الطبعة: الثانية، 1977م.
-**شرح الأصول الخمسة** : للقاضي عبد الجبار- المؤلف: هو القاضي عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار بن أحمد بن خليل- المحقق: الدكتور عبد الكريم عثمان- الناشر: مكتبة وهبة بالقاهرة- الطبعة الأولى،1384ه- 1965م.
-**غاية المرام في علم الكلام**-المؤلف: أبو الحسن سيد الدين علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي الآمدي (المتوفى: 631هـ)-المحقق: حسن محمود عبد اللطيف-الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – القاهرة.